وجه على الحائط

للكاتب الانجليزى : ا. ف لوكاس
ترجمة : د. احمس فيليب

ا . ف . لوكاس كاتب انجليزى معاصر متسع الافق ومجدد يمتاز بانه كتب فى مئات من الموضوعات والأفكار المختلفة واجاد فيها جميعا . كتب كثيرا من الروايات والقصص القصيرة ، وهو فى هذه القصص يميل الى الخلق والابتكار كما يميل فى بعضها الى الرومانتيسية المتطرفة وهى مايطلق عليها فى هذه الايام عبارة « ادب اللامعقول » . كما كتب فى ادب الرحلات كتبا عن باريس وفلورنسا وروما والبندقية ولندن . وقد نالت فصوله الممتعة عن واقع حياة الناس التى نشرها فى مجلة بنش الانجليزية اعجاب القارىء الانجليزى ، ذلك لأنه فى هذه الفصول يتناول تصرفات الناس ومشكلاتهم من وجهة نظره الشخصية الخاصة التى يعبر عنها باسلوب مشوق مثير . وهو فى جميع الموضوعات التى كتب فيها اديب خصب لا ينضب خياله ولا يجف قلمه .

وقصته هذه « وجه على الحائط » محاولة ناجحة فى ميدان الادب اللامعقول .

(المترجم)

ما زلت أشعر بالمهانة من جراء (دايس » ، غير أن هذا الاحساس لا يعذبنى وحدى ، ولعل فى هذا بعض عزائى . كنا حينذاك نتحدث عن الحوادث الخارقة للطبيعة — ذلك الموضوع الذى يشد اهتمام الناس على الرغم من عدم جدوى الحديث فيه — وقد قص معظمنا بعض الحوادث التى لم تترك فى نفوسنا نحن السامعين أثرا كبيرا ، وكان بين الحاضرين الذين لا أعرفهم رجل تبدو على وجهه الابيض سمات القلق وكان

قد جاء في صحيفة ردش وايت ، وكان هذا الرجل يصغي الى كل متحدث تمام الاصغاء دون ان يعلق بشيء . غير ان دانتي اراد ان يشركه في الحديث فالتفت اليه وسأله عما اذا كان يستطيع ان يقص علينا شيئا من خبراته او قصة تضم عنصرا لايمكن تفسيره .

واطرق الرجل العربي لحظة ثم قال « حسنا ... ان ما سأحكيه لكم ليس قصة بمعناها الصحيح ، ولكنه شيء يختلف عن معظم ما استمعت اليه منكم ... انني اعتقد ان الحقيقة ليست اغرب من الخيال فحسب ولكنها ايضا اكثر منه اثارة للاهتمام . انني أستطيع ان أروي لكم حادثا حدث لي شخصيا ومن الغريب حقا ان خاتمته لم تتم الا بعد ظهر اليوم » .

ورجوناه ان يبدأ فقال :

« منذ عام او عامين كنت اقطن في شارع أرموند الكبير بيتا قديما ناحية هلبورن ، وكانت جدران غرفة نومي قد اعاد طلاءها ساكن سابق . غير أن رطوبة المكان ادت الى افساد الطلاء وظهور بعض « البقع » ، وكانت واحدة من هذه البقع — كما يحدث في كثير من الاحيان — تشبه وجه انسان شبها تاما، غير ان هذا الشبه كان اكثر رقة واثارة للدهشة مما تبدو . كنت أتطلع الى هذا الوجه حين أستلقي في فراشي في الصباح ، وحين اهم بخلع ملابسي وحين انهض من الفراش ... كنت اتطلع اليه في كل حين ، حتى احدث شيئا فشيئا أتصوره حقيقة واقعة — وميل في المسكن . والغريب في الامر انه بينما البقع الاخرى كانت تتسع وتتغير اشكالها الا أن هذه البقعة بذاتها لم يصبها شيء من هذا التغير ، فقد بقيت على حالها تماما .

واصابتني في ذلك الوقت انفلونزا حادة صحبتها بعض الهذاءات ، فكنت أقضي النهار كله بين القراءة والتأمل وفي تلك الأثناء أخذ هذا الوجه يملك على كل اهتمامي ، واخذ احساسي بواقعيته يزداد اكثر فاكثر ... بل استطيع أن اؤكد انه سيطر على فكري ليلا ونهارا ، كان الانف غير مألوف اما انحدار الجبهة فكان فريدا في نوعه ... كان الوجه في الواقع يختلف عن غيره من الوجوه، وجه رجل يختلف عن بقية الرجال — واحد في كل الف !

لم تماثلت للشفاء — غير ان الوجه الذي على الحائط كان لايزال يسيطر علي ، فاذا بي أجوب الشوارع باحثا عن شبيه به ، فقد كنت مقتنعا بأن صاحب هذا الوجه لا بد أن يكون حيا يرزق ، ومن ثم فلابد لي من العثور عليه ... ولم ادر لذلك سببا ولكني عرفت شيئا واحدا : ان القدر قد ربط بيني وبين صاحب هذا الوجه — ترددت على الاماكن التي يرتادها عدد كبير من الرجال كالاجتماعات السياسية ، ومباريات كرة القدم ، ومحطات السكة الحديد عندما تصب قطارات الضواحي آلاف الركاب على العاصمة في الصباح وتستقبلهم مرة ثانية في المساء . غير ان هذه المحاولات جميعها ذهبت ادراج الرياح ... وقد ادركت لاول مرة كم ان وجوه

الرجال قليلة على كثرتها ... فبينما هذه الوجوه تختلف فيما بينها الا أنها ـ اذا ماصنفت ـ لما زاد عـــدد اصنافها عن اصابع يديك .

اصـــبح البحث عن صاحب الوجه لونة ، فقد اهملت كل شيء عداه ... كنت اقف عند « نواصي » الطرق أتطلع الى وجوه الناس عند الزحام حتى حسبني النـــاس مجنونا وبدأ رجال الشرطـة يعرفونني ويرتابون في أمري ، لم أكن أحملق في النســـاء ... كان الرجال والرجال فقط .. هدق ومشار اهتمامي .

هز الرجل بيده على جبهته كمن يحس بالانهاك ثم واصل قصته .. « ثم ... وجدته أخيرا ... كان في « سيارة أجرة يتجه نحو الشرق مارا بشكاديلي ، وعندئذ استدرت وجريت الى حواره مسافة قصيرة ، ثم لمحت سيارة ليس بها أحد فقفزت الى داخلها وأنا أقول لاهثا (اتبع تلك السيارة) ... وقد عمل السائق على أن يجعلها على مرأى منا حتى وصلنا الى محطة تشارنج كروس ، وعندئذ اندفعت نحو رصيف القطـــار وهناك رأيت الرجل في صحبته سيدتين وفتاة صغيرة . كانوا سيسافرون الى فرنسا في قطـار الثانية والثلث .. أحدث اتحين فرصة أستطيع أن أتحدث فيها اليه ، ولكن بغير جدوى ، فقد انضم اليهم أصدقاء آخرون ثم اتجهوا الى القطار كتلة واحدة .

اشتريت تذكرة الى فولكستون على أمل أن ألحق به على ظهر السفينة قبل اقلاعها ، غير أنـــا حين وصلنا الى فولكســـتون ســـبقني مع أصدقائه الى السفينة حيث اختفوا في صالون خاص بتوسط عددا من القمرات ، مما جعلني اتحقق من أنه رجل ثري . وهكذا فشلت مرة ثانية ، غير أني قررت أن أسافر ايضا ، فقد كنت واثقا من أنه سوف يترك السيدتين بعد أن تبدأ الرحلة ويخرج للنزهة بعض الوقت على ظهر السفينة . لم أكن أملك الا أجرة السفر ذهابا الى بولونيا ، الا أن شيئا لم يكن ليستطيع أن يثنيني عن عزمي .. وهكذا وقفت أنتظر في مواجهة باب الصالون ، وبعد نصف ساعة فتح باب الصـــالون ورأيته يخرج ، غير أن الفتاة الصـــغيرة كانت في صحبته ... أحدث قلبي يدق في شـــدة حتى بدا لي أن نبضـــاته تهز السفينة أكثر من محركها ... لم يكن هناك أي احتمال للخطأ .. كان الشبه تاما . ألقى الرجل على نظرة سريعة ثم أخذ يصعد السلم الى السطح العلوي .. وحينئذ شـــعرت بأن قرصتي قد حانت قلت متلعثما (معـــذرة ، أتسمح لي ببطاقتك .. هناك سبب قوي يحملني على أن أتصل بك) .

بدت عليه الدهشة ـ ولا عجب في هذا ـ غير أنه أجابني الى طلبي ، وأخرج محفظته من جيب عميق وناولني بطاقته ثم أسرع مبتعدا ومعه الفتاة الصغيرة .

من الواضح أنه حسبني مجنونا ورأى أنه من الحكمة ارضائي .

وما أن تناولت البطاقة حتى اسرعت الى ركن خال من أركان السفينة لاقراءها ... أظلمت عيناي ، دار رأسي ، فقد

قرأت بالبطاقة الكلمات الآتية : مستر ارموند وول ثم عنوانه في نيويورك بالولايات المتحدة ..

ثم لا أذكر ماذا حدث لي حتى وجدت نفسي في احدى مستشفيات بولونيا حيث رقدت فيه في حالة سيئة بضعة أسابيع ولم أعد الا منذ شهر واحد » .

ثم سكت الراوي .. فاحدنا يحدق فيه ثم ينظر الى بعضنا البعض وينتظر أن يكمل القصة ... فقد كان حديث تلك الامسية كله لا يقارن بقصة هذا الرجل الضئيل الشاحب .

وبعد لحظة استأنف قائلا » ثم عدت الى شارع ارموند الكبير وبدأت العمل لاكتشف كل ماأستطيع اكتشافه عن هذا الامريكي الذي دخلت حياته بهذه الطريقة الغامضة . فكتبت الى بعض الناس في نيويورك ، كما كتبت لبعض الصحفيين الامريكيين .. وترددت على الاوساط الامريكية في لندن ، غير أني لم استطع أن اعرف شيئا أكثر من أن مليونير من أصل انجليزي استوطن لندن .. ولكن في أي مكان ؟ لم استطع أن احصل على اجابة لهذا السؤال .

وهكذا مر وقت طويل .. حتى كان صباح أمس حين استيقظت متأخرا عن حيث أني كنت قد أويت الى فراشي في حالة غير عادية من الاجهاد ، وكان

الشمس قد سلكت الى الغرفة ، وحينئذ اتجهت بنظري الى الحائط لأرى الوجه كما اعتدت ان افعل ، ثم احدث اضطرابا عنيفا وقفزت من الفراش في ذعر ، فلم يكن يظهر من الوجه الا اثر باهت ، بينما كان في الليلة الماضية واضحا كعادته حتى كاد ينطق ، اما الآن فقد أصبح شبح وجه .

نهضت وقد انتابني احساس بالدهشة والضيق ، ثم غادرت البيت كانت النسخ الاولى من الصحف المسائية قد صدرت تقرأ في محتوياتها « اصابه مليونير امريكي في حادث سيارة » . لابد انكم جميعا قرأتم هذا الحادث « اشتريت الصحيفة وقرأت فورا ماتوقعته « بينما كان مستر ارموند وول ـ مليونير نيويورك ـ وصحبه يقومون برحلة في سيارة من سيبريا الى تيبرا صدمتهم عربة نقل وانقلبت سيارتهم ، وحالة مستر وول خطرة «

عدت الى حجرتي والحيرة لا تزال تملكني وجلست على الفراش انظر بعيني ـ تكادان لا تبصران ـ الى ذلك الوجه على الحائط ، وبينما تعلق بصري به اذا به يختفي تماما .

علمت بعد ذلك أن مستر وول قد توفي متأثرا بجراحه وكان ذلك كما فهمت في نفس اللحظة التي اختفى فيها الوجه «

ثم سكت الراوي مرة ثانية .

احدنا تردد العبارات « شيء عجيب حقا ... شيء غير عادي ، وكنا حقا نعني مانقول .

واستطرد الرجل الغريب « اجل ، هناك ثلاثة اشياء عجيبة .. وغير عادية في قصتي . الشيء الاول ان ينتج عن حساء الطلاء في احد منازل لندن شكل يكون ملامح رجل يعيش في أمريكا ، وليس هذا فحسب ، بل ان يكون لهذا الشكل ايضا صلة بحياة هذا الرجل .

ولابد أن يمضي بعض الوقت قبل أن يستطيع العلم تفسير ذلك . والامر العجيب الثاني ان تكون هناك صلة بين اسم هذا الرجل واسم المكان الذي انطبعت عليه ملامحه بهذه الطريقة العامضة ... اليس كذلك ؟ » .

وافقناه على مقال وعدنا الى مناقشتنا الاولى عن الظواهر الخارقة للطبيعة وقد ازدادت حماستنا ، وفي اثناء ذلك نهض راوي القصة الغريبة واستأذن في الانصراف .

غير انه لم يكن يصل الى الباب حتى ذكرنا احد الجماعة ـ ويسرني أن أذكر انه سانتون ـ بموضوع مناقشتنا الحماسية ، وذلك حين سأله قبل أن يغادر المكان عن ذلك الامر العجيب الثالث في قصته المسلية قائلا « قلت ان هناك ثلاثة اشياء » .. أجاب وهو يفتح الباب « اوه ! الامر الثالث كدت انسى .. ان الامر العجيب الثالث في هذه القصة اني اقتلها منذ نصف ساعة ... مرة اخرى « ، طبتم مساء » .

عندما عدنا الى وعينا احدنا نبحث عن رد وايت الذي جاء بهذه الحية لتلدغ صدورنا .. غير انه هو ايضا كان قد اختفى !